(٩٤) سورة الشرح

فى رحاب السورة الكريمة

سورة عظيمة آياتها ثمان، نزلت بعد سورة الضحى، تتحدث عن مكانة الرسول ﷺ وقد تحدثت عن نعم الله العديدة على عبده ورسوله محمد ﷺ تشرح صدره بالإيمان وتنور قلبه بالحكمة والعرفان وعن رفع مكانته ومنزلته العظيمة عند الله، كما دعته إلى تحمل إيذاء الكفرة والمشركين، وقرب النصر على الأعداء وانفراج العسر، ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ وختمت السورة الكريمة بالتذكر بوجوب التفرغ لعبادة الله بعد الانتهاء من تبليغ الرسالة وقد سميت بسورة الشرح، حيث ذكرت الرسول ﷺ بحادثة شق الصدر لإخراج حظ الشيطان منه وتطهيره ليكون مستعدا لاستقبال الرسالة الخالدة.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨ ﴾

معانى المفردات:

نشرح لك صدرك: نفسح ونوسع لك

وضعنا عنك: خففنا عنك

وزرك: ثقل أعباء النبوة

أنقض ظهرك: أثقله وأوهنه

فإذا فرغت: من العبادة

فانصب: فاجتهد فى عبادة أخرى

فارغب: فاجعل رغبتك

التفسير:

لقد بدأت السورة الكريمة بقول الله عز وجل ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ استفهام بمعنى التقرير أى لقد شرحنا لك يا محمد صدرك بالهدى والإيمان، ونور القرآن،

قال ابن كثير: أى نورناه وجعلناه فسيحا رحيبا، واسعا وكما شرح الله صدره كذلك جعل شرعه فسيحا سمحا سهلا، لا حرج فيه ولا إصر ولا ضيق[1] وقال أبو حيان: شرح الصدر تنويره بالحكمة وتوسيعه لتلقى ما يوحى إليه وهو قول الجمهور، وقيل هو شق جبريل لصدره فى الصغر وهو مروى عن ابن عباس[2] ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾ أى حططنا عنك حملك الثقيل ﴿ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ أى الذى أثقل وأوهن ظهرك قال المفسرون: المراد بالوزر الأمور التى فعلها ﷺ ووضعها عنه غفرانها له كقوله تعالى "ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر"[3] وليس المراد بالذنوب المعاصى والآثام، فإن الرسل معصومون من مقارفة الجرائم، ولكن ما فعله عليه السلام عن اجتهاد وعوتب عليه، كإذنه ﷺ للمنافقين فى التخلف عن الجهاد حين اعتذروا، وأخذه الفداء من أسرى بدر، وعبسه فى وجه الأعمى ونحو ذلك[4] ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ أى رفعنا شأنك وأعلينا مقامك فى الدنيا والآخرة وجعلنا اسمك مقرونا باسمى قال مجاهد: لا أذكر إلا ذكرت معى وقال قتادة: رفع الله ذكره فى الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا وينادى أشهد إن لا إله إلا الله محمد رسول الله قال فى البحر المحيط: قرن الله ذكر الرسول بذكره جل وعلا فى كلمة الشهادة والأذان والإقامة والتشهد والخطب وفى غير موضع من القرآن وأخذ على الأنبياء وأممهم أن يؤمنوا به[5] ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ أى بعد الضيق يأتى الفرج وبعد الشدة يكون المخرج قال المفسرون: كان رسول الله ﷺ فى مكة فى ضيق وشدة هو وأصحابه بسبب أذى المشركين للرسول والمؤمنين فوعده الله باليسر كما عدد عليه النعم فى أول السورة تسلية وتأنيسا له ﴿ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ أى سيأتى الفرج بعد الضيق واليسر بعد العسر فلا تحزن ولا تضجر وفى الحديث "لن يغلب عسر يسرا"[6] ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴾ أى إذا فرغت يا محمد من

---

(١) مختصر ابن كثير ٣/٦٥٢.

(٢) تفسير البحر المحيط ٨/٤٨٧ والرواية التى أشير إليها فى صحيح مسلم.

(٣) الآية الثالثة سورة الفتح.

(٤) صفوة التفاسير ص ١٧٤.

(٥) تفسير البحر المحيط ٨/٤٨٨.

(٦) أخرجه الحاكم والبيقهى.

دعوة الخلق، فاجتهد فى عبادة الخالق، وإذا انتهيت من أمور الدنيا فانصب بنفسك فى طلب الآخرة ﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴾ أى أجعل همك ورغبتك فيما عند الله لا فى هذه الدنيا الفانية.

الإعراب:

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ.	الهمزة للاستفهام التقريرى، لم حرف نفى وجزم وقلب، نشرح مضارع مجزوم علامة جزمه السكون وفاعله ضمير مستتر تقديره نحن يعود على الله عز وجل لك جار ومجرور متعلقان بنشرح، صدرك مفعول به منصوب بالفتحة الظاهرة، والكاف ضمير خطاب فى محل جر بالإضافة.
وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ	الواو عاطفة، وضعنا فعل ماض مبنى على السكون، نا الفاعلين فى محل رفع فاعل عنك جار ومجرور متعلقان بوضعنا، وزرك مفعول به منصوب والكاف ضمير خطاب فى محل جر بالإضافة.
ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ	الذى اسم موصول مبنى نعت لوزرك، أنقض فعل ماض وفاعله مستتر ظهرك مفعول به منصوب وجملة أنقض صلة الموصول لا محل لها من الإعراب.
وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ	الجملة معطوف على ما سبق وينفس الإعراب وتقديم الجار والمجرور على المفعول به الصريح مع أن حقه التأخير لتعجيل المسرة والتشويق لرسول الله ﷺ.
فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا	الفاء عاطفة، إن حرف توكيد ونصب، مع ظرف منصوب العسر مضاف إليه مجرور، يسرا اسم إن مؤخر منصوب والجملة معطوف على كلام محذوف لابد من تقديره وهو "خولناك ما خولناك فلا يحزنك الناس فإن مع العسر يسرا".

إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا	الجملة مستأنفة لتقرير أن العسر متبوع بيسر والألف واللام فى العسر لتعريف الجنس وفى الثانى للعهد، والجملة كلها تأكيد لفظى للجملة السابقة لها.
فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ	الفاء إما عاطفة على مقدر تستحق المقام أو استئنافية كأنها جواب لسؤال نشأ وهو ماذا بعد الشكر والعبادة والاجتهاد فيهما فقال: فإذا فرغت فانصب إذا ظرف للزمان المستقبل متضمن معنى الشرط متعلق بالجواب، وجملة فرغت فى محل جر بالإضافة للظرف، فانصب الفاء رابطة انصب فعل أمر مبنى وفاعله مستتر تقديره أنت والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط.
وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب	الواو عاطفة إلى ربك جار ومجرور متعلقان بارغب، ارغب فعل أمر مبنى وفاعله مستتر تقديره أنت.

من ألوان البلاغة

لقد اشتملت السورة الكريمة على بعض الصور البلاغية نذكر منها:

- الاستعارة التمثيلية فى قوله تعالى ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ حيث شبه الذنوب بحمل ثقيل يرهق كاهل الإنسان ويعجز عن حمله، والمراد منها عصمته ﷺ من الوزر حيث لا وزر، فشبَّه حاله وهو ينوء تحت ما يتخيله وزرا وليس بوزر بحال من أذاه الحمل الثقيل وبرح به الجهد والحر اللافح فهو يمشى مكدودا مجهدا فوضع الوزر هنا كناية عن عصمته وتطهيره ﷺ من دنس الأوزار" راجع التفسير.
- الجناس الناقص بين لفظ "يسرا... العسر".
- التذكير للتفخيم والتعظيم فى قوله تعالى ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ تذكير بنعمة الله على الرسول ﷺ.
- كذلك التذكير للتفخيم والتعظيم فى قوله تعالى ﴿ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ حيث ذكر اليسر للتعظيم وكأنه يسر كبير وتكرار الجملة لتقرير معناها فى النفوس وتمكينها من القلوب.

السجع الجميل غير المتكلف فى السورة كلها.